مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 02 مارس (2021) - ص 290- 302

تجليات الثورة الجزائرية في الديوان الشعري العربي: نماذج مختارة من الشعر السعودي

The Manifestations of the Algerian revolution in the Arab poetry court:Selected Models of Saudi poetry

وهاب قارة
abdelwahabkara04@gmail.com
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

تاريخ الاستلام: 2020/06/28 تاريخ القبول: 2020/08/07 تاريخ النشر: 2021/03/15

ملخص البحث

تناولنا في هذه الدراسة دور الشعراء السعوديين في تتبع مسار الثورة التحريرية التي شكّلت موضوعا هاما في الكثير من إبداعاتهم الفنية.

ومن أهمّ النّتائج المتوصل إليها أنّ نصوصهم الشعرية التي تفاعلت مع الجزائر تضمّنت مواقفهم التي عبَّروا بها عن الثورة، وعن إخلاصهم لها باعتبارها جزء لا يتجزّأ من كفاح الأمة العربية.

الكلمات المفتاحية:

تجليات، ثورة جزائرية، ديوان شعري، شعر سعودي

ABSTRACT:

In this study, we examined the role of Saudi poets in tracking the path of the liberation revolution, which was an important topic in many of their artistic creations.

Among the most important conclusions reached is that their poetic texts that interacted with Algeria included their positions by which they expressed the revolution, and their loyalty to it as an integral part of the struggle of the Arab nation.

Keywords: Manifestations, Algerian revolution, poetry court, Saudi poetry.

1. مقدمة:

لقد كان الشعر العربي في طليعة من تغنى بالثورة الجزائرية، ويكفي أن نقرأ ذلك الإنتاج الغزير الذي جادت به قرائح الشعراء العرب على اختلاف جنسياتهم وأقطارهم ومستوياتهم الفنية والأدبية لنتعرف على مدى تتبع الشعر لمسار الثورة الجزائرية عبر سنواتها الطويلة، وعلى دقته في سرد مراحل مقاومتها الباسلة وتضحيات جنودها وثوارها، وعلى قوة تعبيره عن آلام الشعب السرمدية ووصف معاناته الأزلية في ظل الهمجية الاستعمارية، وعن مدى تعلُّقه بالتحرر وتعشُّقه للحرية، فكان بذلك خير رديف للسلاح.

إن الشعر العربي الذي تغنى بالثورة المباركة ومجَّدها هو شعر حامل بين ثناياه مشاعر الاندفاع ذلك لأنه « فن المقاومة بشكل عام »[i]، ولأنه « أكثر الفنون انفجارا وتأثيرا بجرسه وعاطفته وحماسته وقدرته على التحريض والدفع والإثارة (...)، وكل الفنون الأخرى لها دورها في أدب الثورة لكن الشعر يبقى هو الجسر السهل والقريب، الخطير والفعال في الوقت نفسه، ويبقى الكهرباء ذات الشحنة المتوترة في أعماق الإنسان والتي تجري في عروق الشعب كدم يغلي داخل بركان ثائر»[ii]، فالمقاومة بالكلمة الشعرية هي« تعبير عن إرادة الحياة والطموح في تحقيق حضور حر ومستقل وفاعل، فهي ليست حالة وقتية، وإنما هي مبدأ حياتي أصيل في عقل ووجدان الإنسان العربي، وهي بالتالي مبدأ قائم على تعشق الحرية ولإثبات الحضور والفاعلية ورد العنفوان»[iii]، لذا من المسلم به أن نجد الشعر العربي قد لعب دورا هاما في المقاومة، وبدا دوره واضحا في الدفاع عن الجزائر وعن معتقداتها وحريتها وفي الذود عن انتمائها ووجودها، وفي تصوير تلك الظروف التي مرت بها الجزائر، ورسمِ الصورة القاتمة لذلك الاستعمار الظالم، وفي نقل صور عن الثورة، وتصوير مشاهد النضال والتضحيات، وإبداع لوحات التحدي للاحتلال الفرنسي، التقط مشاهدها من ميادين البطولة وساحات التضحية، فكان بهذا الدور معاينا لأحداث الثورة وشاهدا عليها، مسجِّلا وقفة جبارة إلى جانبها، ولأن الثورة التحريرية زلزلت عواطف الشعراء العرب منذ اندلاعها، فليس من باب المبالغة إذا جزمنا بأن الشعر العربي عامة والسعودي خاصة عُني بتناول القضية الجزائرية، ونحن إذ نشير إلى أهم الموضوعات التي لها علاقة بالثورة، وتلك المضامين الشعرية المتصلة بها، لاتضح لنا بأنها جسّدت قمة الالتزام القومي والسياسي والنضالي للشعر العربي السعودي تجاه الجزائر وثورتها.

2. تجليات الثورة الجزائرية في الديوان الشعري العربي -نماذج مختارة من الشعر السعودي-:

1.2 الثورة الجزائريّة:

أدخل يتعانق الشعر السعودي والثورة عناقا حارا استمد حرارته من الواقع المر الذي مُنيت به الجزائر، ولم يتخلف عن مواكبة الثورة بأحداثها الجليلة، بل تضامن وأيَّد ونصر، واعتلى المنبر مستنفرا مستصرخا باللهجة الحماسية واللغة التحريضية التحفيزية، وفي هذا السياق تأتي قصيدة

"صدى يوم الجزائر" للشاعر (حمد بن سعد الحجّي) لتعبّر عن مشاعر الابتهاج باندلاع الثورة التحريرية، واصفا إياها بالفجر الذي أطل بعد ليل طويل فيقول:

أمسيت أرقب الصبـــــاح طويلا ورأيت ليـــــلي في المسير ثقيلا.
حتى بدا الفجر الضحوك فأبصرت عيناي صبـــحا باسما وجميلا.
"يوم الجزائر" قد أطـــــــلّ كأنه عيد يصافحــه الورى تقبيلا.[4]

إن هذه الأبيات صورة واضحة للنزعة الثورية النابعة من إيمانه القوى بالجزائر مهد الثورة المظفرة التي أيدها الشعب واحتضنها على أرض أبت إلا أن تكون حرة أبية، كما أنها تكشفُ مدى التجاوب الوجداني السعودي مع الثورة المظفرة، وتبيّنُ أن مصاب العرب مشترك، فقد ألف الجرح بينهم ولَمَّ المصاب تفرقهم وتشتتهم.

وعندما يجعل الشعراء السعوديون شعرهم تلبية لنداءات الثورة تأتي قصائدهم ملتهبة بالحماسة، مستجيبة لنداء القومية العربية خاصة في ظل الانتكاسات المتكررة التي عرفتها الأمة العربية، فقد وجدوا في الثورة الجزائرية ملجأ لهم، وميدانا لشعرهم، فقدموا لنا أصفى الشعر القومي، وعبروا بأسمى عبارات الإعجاب عن المقاومة الجزائرية، وتعايشوا معها بعواطفهم، وتحدوا الاستعمار وآمنوا بالنصر، وتيقنوا بمجيئه مهما كان الثمن غاليا، ويقف الشاعر (زاهر عواض الألمعي) مسجلا موقفا متميزا من خلال انفعاله بالحدث ويصرخ غاضبا فيقول في قصيدته "ثورة الجزائر":

إنها الثورة المهيبة خاضـــت بحـــــر هول وما لها إرساء.
إنه الشعب صاخب فتسامت من ذراء الإغـــــارة الشعواء.
إيه يا أمة تسامت جهـــــادا رددت لحـــن عزمها الهيجاء.
شرديهم ودمري ثكنـــــــات كان يأوي بظلـــــها اللؤماء.
طهّري منهم البلاد بعـــــزم فهم الداء والأذى والـــوباء.[5]

لا ريب في أن هذه الأبيات نُسجت من مشاعر الإعجاب من جهة، ومن مشاعر الحقد على المستعمر من جهة أخرى، ولا عجبَ في ذلك ما دامت الأوضاع الحامية التي عاشها العرب ويعيشونها كانت العامل القوي المؤثر في صهر المنازع وتقريب الأفكار وبلورة الأهداف فيما بينهم.

عاش الشعراء السعوديون في شعرهم القومي جانبا من حياة الجزائر وإن لم يعيشوا في صميمها، فالفترة التي اندلعت فيها الثورة هي مرحلة عرفت تصعيدا لمشاعر التأييد والنصرة، فلقد غنَّى الشعراء الأرض الجزائرية بأبهى القصائد الثورية، واحتفظوا بها في وذاكرتهم الشعرية، فنالت الثورة من المدونة الشعرية السعودية مجالا فسيحا ورحبا، إذ ساندها الشعراء بقصائدهم في أوقاتها العصيبة، وواكبوا أحداثها، ووصفوا شدتها، فكانت دفعا معنويا وبشرى خير بأن مفعول الثورة يزداد

والحماس يتجدد والشعب يتفاعل، ولعل أصدق ما عُبر به في هذا الصدد ما أنشده الشاعر (إبراهيم العواجي) في قصيدته "قسم وثورة "حين قال:

لبيك أرضي الطـــاهرة يا معقـل البطل الغيور.
قسـما.... بحبك موطني قسمـا بتربتك الطهور.
بـأبي وأمي الطيبيـــــــ ن ومرج ضيعتنا الكبير.
قسما بأعظـــــم ثـورة وبشعـبي البطل الغيور.
أن أطـرد الدخـــــلاء أو أفنى شهيدا في حبور. [6]

تعتبر هذه الأبيات مثالاً لوفاء الشاعر السعودي وولائه للثورة الجزائرية، فهي التي حرّكت فيهم الأحاسيس، وألهبت المشاعر، وغرست في قلوبهم بذور التحرر في زمن غلب عليه إحساس عارم بالذل والاستعباد، وشعور باليأس من أمل التحرر من ليل لاستعمار الطويل، فأصبحت الثورة التحريرية رمزا للحرية والانعتاق.

ولمّا كانت الثورة الجزائرية من أهم الثورات التي أثرت في النهى والأفئدة، فليس من الغريب أن تثير احتفاء بالغا، واعتناء متميزا لدى الشعراء السعوديين، فلقد تجاوبوا مع الثورة منذ تفجيرها، وآمنوا بمبادئها، وراهنوا على نصرها، على الرغم من سياسات المستعمر المنتهجة، والتي جاء الرد عليها سريعا بقصائد مصبوغة بألوان التحدي والصمود، قصائد ملؤها التمرد والثورة، زاخرة بدلالات الرفض والمقاومة، فقد كان على الشاعر السعودي أن يجعل من قوافيه نبالا مصوبة تجاه الاستعمار، وأن يتّخذَ من شعره معولا يهدم به صرح الاحتلال، ويقدم لنا الشاعر (عبد الله صالح العثيمين) صورة من صور المقاومة التي لم تهدأ ولم تخمد، فقد حمل لواءها أبطال تبنوا فكرة الدفاع عن الأرض والعرض، فيقول في قصيدته " الثورة الجزائرية ":

قداسة الثأر في الأعمـــــاق تلتهب وغضبة الحقد يُذكي نارها الغضب.
الثأر لن تطفئ الأيام جـــــــذوته ولـو توالت على استعماله الحقب.
شبت جحيم الوغى والشعب موقدها والطامعـون وما اقتادوا لها حطب.
لن يسكن الثأر ما دامت مرابعـــــنا يلـــــهوا بخيراتها غاز ومغتصب.
أيحسب الطغمة الأوباش ما جمــعوا من العتـــاد وما ابتاعوا وما وهبوا.
يجتاح ثورتنا ؟ ما شل وثبتـــــــنا عن التقـدم ذاك الجحفل اللجب.
للغاصب الحتف والأحداث مؤلمـــــة للمعتدين وللمستـــعمر العطب. [7]

ثم يردف فيقول معبرا عن استمرار الثورة بكلام مطبوع بالعنفوان والتمرد والجرأة:

تباركت ثورة الأحرار عاصـــــفة بالمـــــــعتدي و تعالى الثأر والدأب.
أظن أعداؤنا الأوغاد ثورتـــــنا تنـــــال من عزمها الأيام والحقب؟.
أيحسبون كفاح الشعب يجرفه سيل من العنف أو تجتاحه النوب؟.
يا طغمة الغدر ما هانت عزيمتنا ولا تملـــــــــكنا الإجهاد والتعب.
ما زال في عنفوان بأس ثورتنـــــا ولا يـــــــزال اندفاع الحقد يلتهب.
وما ثنى عزمنا بطش تسلـــــطه جحافل للخـــــــنا والغدر تنتسب.
هبت طلائعنا كالأسد غاضـــبة في عدوها غمغمات الموت تضطرب.
تواثبت من ذرى (أوراس) هائجة سلاحها الحقد في الهيجاء والغضب.[8]

يعكس الشاعر في هذا المقام قوميته والتزامه بالثورة، ويكشف عن الدور البارز للشاعر السعودي إبّان الثورة على اختلاف مراحلها، فلقد كان من خلال هذه القصيدة شاعر نضال، ورفيق سلاح، مصطبغة أبياته في مضمونها وعواطفها بالصبغة الثورية الجهادية، حاملة بين ثناياها روح الانتفاضة، موجِّه طاقته الشعرية لخدمة الثورة، متبنيا المنهج الثوري التحرري، فأضاءت به دروب الحرية وأنار عقول الشعب بالوعي الوطني.

كان في اندلاع ثورة نوفمبر أملٌ في استرجاع الأمة العربية لعزتها وهيبتها، وعلى هذا الأساس راح الشعراء السعوديون يمجدون ثورة الجزائر وثورة العرب أجمعهم، لذا نجد الشعراء في كل أرض العرب مشرقا ومغربا قد سالت أقلامهم ولم تكُف، وسال حبرهم ولم يجِف، فأبدعوا وأجادوا وأسمعوا العالم العربي خير ما نحتته مشاعرهم وصاغته آلامهم، وهذا الشاعر (حسن عبد الله القرشي) يفتخر بالثورة الجزائرية مبينا وبكل صدق قداستها لما شبهها بفتح طارق بن زياد للأندلس فيقول:

قد عاد طارق وعاد السمح للفتوح.
ودوت الجبال بالنشيد والسفوح.
والبشريات هللت والأمل والطموح.
ففي المحيط الأطلسي فخرنا يلوح.[9]

يبدو من خلال هذا النصوص الشعرية السابقة أن الشعراء السعوديين كانوا ملازمين لثورة الجزائر، متابعين لمراحلها، متنسمين أخبارها، مستبشرين بنصرها في معركة التحرر، ولا يكاد يختلف موقف الشعراء في نصرة الثورة ودعمها معنويا، فهي السبيل الأمثل لبلوغ المجد، ولقد بقي الشعر الصادق صدق الثورة التي واكبها وعبر عنها واقفا أمام روعة الأحداث الثورية المتعاقبة والتي ألهمته موقف تقديس و إجلال، فـ « الشعر الذي غذى الثورة بوحيه و إلهامه منذ عشرات السنين لن تبخل عليه برد التحية بأن تعطيه من تاريخها إلهاما»[10]، ولقد نبض الشعر السعودي بنبضات خفاقة،

وأصر ألاّ ينفصل عن «الثورة المسلحة بصراعها الدامي، و مسيرتها الطويلة، وتعدد الجبهات فيها، وتجدد الوقائع على مدى سنواتها السبع، بأيامها و لياليها، بساعاتها ودقائقها و ثوانيها..» [11]، ولقد اتخذ الشعراء السعوديون مواقف الريادة في الإشادة والتمجيد بالثورة وبقصائد قومية معتزة بالجزائر وشعبها، لذا نجد في مدوناتهم الشعرية أن الثورة قد شكلت ركنا هاما من أركان أشعارهم، وكان لها حضورٌ قوي فيها، فالثورة عندهم صبح منير تنفس بعد ليل حالك طويل.

2.2 فرنسا:

لقد كانت فرنسا بجرائمها وأساليبها، محور اهتمام الشعراء السعوديين الذين نظموا قصائدهم في الثورة التحريرية، قصائد استطاعوا بها أن يثيروا في الجزائريين مشاعرَ الكراهية تجاه الاستعمار، وأن يرسموا له صورة سيئة تجعل التحرر من أغلاله والانفلات من أنيابه أمر مسلم به، ذلك هو فعل الشعر في النفوس وأثره في القلوب في هذه الفترة، خاصة وأنَّ «خير ألوان الشعر عند الأوطان والمجتمعات ما جاء قويا ملتهبا مستعرا للنفوس دافعا إلى النضال لأن هذا الشعر يجدد الهمم ويبث العزائم ويحرض على المكرمات» [12]، فما يحدث في الجزائر من ثورة على الضيم والجور والطغيان ليس خاصا بها فقط إنما هو أمل كل من كان يرزح تحت نير الاستعمار ويسعى للتخلص منه، ومن هذا المنطلق انشغل الشعراء السعوديون بالثورة المجيدة انشغال الجزائريين أنفسهم، وعاشوها بإحساس متميز وشعور مرهف، وفي قصيدة الشاعر (محمد العيد الخطراوي) "تحدي" نجده يتحدى فرنسا بنبرة خطابية قوية مشحونة بنزعة الصمود وقوة الممانعة يقول:

حطمي ما شئت من جسمي وهدي فجمال العيش في شرعي التحدي!
وأشعلي النيران من حولي ضراما واطرديني عن ذوي العليا وصدي.
سوف أبقى صامدا مثل الرواسي تسقط الآلام حسرى دون سدي.
أنا لا أغضي على النكباء طـــرفي ما بقى في الروح أنبـــــاض بجهد. [13]

وسار على نهجه الشاعر (عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس) فبعد أن حثَّ على المقاومة وحرَّض على المواجهة، وعبَّأ الشعب بشحنات هائلة من القيم الوطنية، والمبادئ الثورية التي كانت قمة في المد المعنوي في محاربة فرنسا، نبَّه الجزائريَّ إلى تأثير الحملة الشعواء التي شنها الاستعمار لزعزعة النفوس وخلخلة الثوابت وإدخال الوهن في قلوب الجزائريين حتى يتخلوا عن ثورتهم، فيقول في قصيدته "المجاهد الجزائري" ولقد اعترته قناعة راسخة بأن المقاومة المسلحة لا غنى عنها ولا بديل:

يا بن "الجزائر" لا يخدعك ما وعدوا من "المساواة" في الأموال والرتـــــب.
صنْ - غير منخدع- في كـــل معركة حمى بلادك من غاز ومستلـــــــب.
وانهض شجاعا إلى الميدان ممتشقا سيفا من الرأي أو غضبا من القضُبِ. [14]

تصاعدت أنفاس الشعراء السعوديين شعرا بطوليا، وارتسمت مواقفهم الجليلة قصائد معبرة عالجت الجروح المثخنة، والقلوب المنكسرة، فعلى الرغم من المواقف الاستفزازية للاحتلال التي كانت تزرع في الشعب اليأس وتجهض الأمل، قابلتها ردود فعل عكسية زادت الشعراء عزما على تبني مواقف التحدي، وفي هذا العهد الاستعماري لمعت في سماء الجزائر وفي أفق الحركة التحررية شخصيات شعرية عاشت للجزائر ومحنتها، وعاشت للثورة والدعوة للنضال من أجل التحرر والاستقلال، ومن بين هذه الشخصيات الشاعر (صالح بن سليمان الوشمي) الذي يمثل ذروة التحدي الجامح، فنجده يتحدث في قصيدته "تحية إلى شعب الجزائر" عن فرنسا المستسلمة الذليلة وعن النصر المؤزر الذي أُنتزِع بالقوة فيقول:

يئس الأنذال من قهر أبـــاة فبدا العجز وكنَّا صـــامدين.
ثم فاؤوا بعدما ذاقوا الردى وتردوا في مهاوي الفاشلـــين.
جنحوا للسلم قسرا عـنهم فاستجابوا للنـدا مستفتئين.
أذعنوا للحق في استقلالنا فكسبنا النصر رغم الغادرين.
عهد (ديجول) تولَّى فاشـلا ظاهر الخسران مقطوع الوتين
ذلة ما بعدها من ذلـــة لفرنسا دولة العـــار المشين.[15]

كانت الثورة التحريرية منبعا للشعر الذي صوَّر آلام الجزائريين ومآسيه في ظل الاستعمار في تلك الفترة المظلمة من تاريخ الجزائر، فترة عاهد فيها الشعراء أن يكافحوا من أجل فضح فرنسا وكشف جرائمها، ويجسد الشاعر (حمد بن سعد الحجي) ذلك في قصيدته "صدى يوم الجزائر"، يقول:

عجبا فرنسا قد تدجَّى ليلـــها فمضت تكبل غيرها تكبيلا.
كم من بريء في الجزائر هادئ أخذوه في أصفادهم معلـولا.
كم من شيخ قوم طاعن في سنِّه طعنوه حتى جندلوه قتيـــلا.
كم من فتاة قد أباحـــوا عرضها ما منهمو أحد بذاك حفـيلا.
كم أخرجوا من رائع من نـــعمة فرآهم شرًّا علـــــيه وبيلا.
كم من مكان أهل مستـــوطن جاؤوا فأخلوه ربعه المأهولا.
مذ حلَّ جيش الظلم في أوطانهم ما استنشقوا فيها صبًا وقبولا.[16]

هذه الأبيات وصف لمأساة الجزائريين ومعاناتهم، فالشاعر ينقل لنا صورا مروِّعة عن جرائم فرنسا، حيث أُخْلِيَت بالقوة المرابع والديار، واستُبيحت الحرمات، ودُنست الأعراض، ويعود الشاعر ليخاطب فرنسا مؤكدا لها بأن الثوار سيطهرون الأرض من دنسها، ويبددون الظلام عن سمائها، وسيقتلعون جذورها من ترابها، وستبقى الأرض جزائرية عربية مهما طال النضال واستمر الكفاح، فيقول:

إن كنت ليلا يا فرنسا حالكا فبنو " الجزائر " أشعلوا القنديلا.

أوكنت ذئبا ضاريا فأراهمـو أُسْدا حمت آجامها والغيـــــلا.
الثورة الحمراء من أبنائـــها شبَّت فكنت وقودها المأكـــولا.
إن الجزائر من مواطن يعرب ولو استمر نضاله موصـــــولا.
ما للفرنسيين في جنبـــاته سكن وإن طلبوا لديه مقيـــــلا[17].

أسهب الشاعر السعودي كثيرا في الحديث عن فرنسا وعن سياستها المتنكرة للحقوق، ولقد كان في القصائد التي نظمها شاعرا قوميا ملتزما بالقضايا العربية، فهو لا ينظم شعرا تصويريا يصف فيه وقائع وهمية، أو يصطنع نصرا مزيفا، بل كان يخوض معركة فرنسا بقلمه، ويسجل الانتصار بحبره،كل ذلك كان بنبل الإحساس وحرارة العاطفة، وممَّا سلف ذكره يتبيَّن لنا أنَّ الشاعر السعودي كان يعيش أحداث الجزائر ويتتبع مراحل ثورتها، بشتى الطرق والأساليب، وينبري لفرنسا وأتباعها، فكان للشعب صوتا مخلصا وهاديا أمينا، ولسانا صادقا، وضميرا حيا يقظا، يعيش للجزائر ويعبر عن ثورتها.

3.2 جبل الأوراس:

حاز "الأوراس" مهد الثورة على مساحة كبيرة من الديوان الشعري السعودي، وهذا ما أبرزه الدكتور (عبد الله ركيبي) في كتابه "الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى" إذ أكَّد بأنه « ما من شاعر عربي (...) إلا وذكر الأوراس في شعره سواء قليلا أو كثيرا، وربما كان ذكر الأوراس جواز مرور القصيدة إلى النشر حتى وإن لم تكن في مستوى يؤهلها لذلك »[18]، وهذا ما بيَّنته أيضا تلك الأهمية البالغة التي أولاها الشعراء السعوديون "للأوراس" في كتباتهم الشعرية الحاملة للطابع الثوري، فما من ديوان شعري . تقريبا . إلاَّ وخُصصت فيه قصيدة له، وربما كان هذا التفاعل للذات المبدعة مع هذا الطود العظيم إنما هو تصريح على أنه رمز لرفض العبودية والاستعباد.

ومن الشعراء الذين تناولوا "الأوراس" في نصوصهم الشعرية الشاعر (إبراهيم بن محمد الدامغ) الذي صوَّره في قصيدته "على مشارف أوراس" على أنه معقل الأمل الذي يعيد للأمة العربية أمجادها وكبريائها، والحصن المنيع الذي احتضن بين أخاديده ومغاراته الثورة والثوار، والشاهد على البطولات والتضحيات والمؤرِّخ لفصل من فصول حياة الجزائر فيقول:

أوراس والجبل الأشم وموطن الأمل الكبـير.
ومنابت الزيتون في أرضي ومخبؤنا الصغير.
ورحابنا الفيحاء والحصن المزوق بالصخور.
ومرابض الأبطال والركب الملوح للمســـير.
والراية الخضراء شعري والبواسل والنسور.[19]

ويتمثَّل الشاعر (سعد البواردي) "الأوراس" إنسانا غاضبا ثائرا على الواقع المرير، ناقما على المستعمر الفرنسي، مصمما على التخلص منه، وبنبرة التحدي يخلع الشاعر مشاعره على هذا الرمز ليتحدث في مكانه منتفضا، فغضب "الأوراس" هو غضب الشاعر وسخطه فيقول في قصيدته "صرخة الأوراس":

اليوم لن أحني . ذليلا . هامتي .....وأهين ديني.
اليوم تزأر للكـــــفاح الأُسْد من مثوى عريني.
لا (ذلّ) لا (ديجول) لا عصب تكمّ به عيوني.
لا ضحكة نكراء يطلقها ســمـــــــاوي العيون.
اليوم . لا أمسي ستنسج بُرد أحفادي يميني.[20]

ويخاطب الشاعر (عبد الله بن محمد الشاهين) بدوره "الأوراس" مفتخرا به، ومبرزا قيمته الثورية كرمز للمقاومة والرفض، وكأنه لم يُخلق إلا ليقوم بهذا الدور فيقول في قصيدته "تحية الجزائر":

(أوراس) يا رمز النضال.
(أوراس) يا حصن الكفاح.
يا معقل المستبسلين.[21]

ولأن الحديث عن الثورة الجزائرية لا يكون إلاَّ مقرونا بالحديث عن "الأوراس" الذي خَطَّ بلغة الرصاص على صفحات الجزائر البيضاء أول عبارة اتخذها الثوار شعارا لهم "النصر أو الشهادة "، يطلُّ علينا الشاعر (محمد العيد الخطراوي) فيكلم "الأوراس" بعد أن انزوى إليه حاملا غضبه، ويخاطبه بلسان ثائر ليذكِّر بشموخه وإبائه، ومشاركته الثوار النضال فداء للجزائر ، فعلى سفوحه وصخوره غسلت دماء الشهداء آثار العبودية بسنواتها الطوال، فيصف الشاعر وبصورة صادقة مواجهته للجيش الفرنسي، فالمستعمر لم يعد يرهبه، ولا الموت بات يرعبه، فنجده يقول في قصيدته " أوراس" معتزا بهذا الجبل الذي خُلِّد في ملاحم شعرية:

أوراس يا مهد الأسود ومعقل المجد الطريد.
فيه الأشاوس رددوا لحن البطولة من جديد.
(...) لله من جبل عظيم لا تلين له قناة.
من أمس أمسك كنت حصنا للمغاوير الأباة.
(...) يا أيها العملاق تنكسر الجيوش على رباه.
وتخر من سلطانه شمّ النواصي والجباه.
زعم العدو بأن عزمك في الكفاح قد انهدم.

لم يدر أن بجوفك البركان مضطرم الحمم.[22]

ويبقى"الأوراس" وعبر سنوات اللهب والعزلة والقهر قبلة للثوار، ورمزا للشموخ والأنفة، وعنوانا للرفض والإباء،، ومحتضننا للأمجاد والبطولات، وموقعا شاهدا على أيام الثورة التحريرية المظفرة.

4.2 استقلال الجزائر:

رافق الشعر السعودي كل الأحداث التي مرَّت بها الجزائر أثناء ثورتها؛ وقتئذ كانت الجزائر مثخنة الجراح، طعينة المشاعر، غزيرة الدماء، ويوم بزغ فجر الاستقلال وأشرقت شمس الحرية وقف الشعر السعودي منها موقفه من الثورة التحريرية، فهلل للجزائر الحرة بقوافي أزلية مطلعها حكاية نوفمبر ومنتهاها فرحة النصر المؤزر، فالقصائد التي عاشت الثورة وتجاوبت مع بطولاتها، هي نفس القصائد التي احتفلت بالاستقلال وغنت له، وعبّرت عن أحاسيس الشعراء العرب ومشاعره «فالعرب الذين عاشوا بكل وجدانهم وضمائرهم وأحاسيسهم ثورة الجزائر ودعموها بكل ما يملكون، غنُّوا كما لم يغنوا من قبل، وفرحوا كما لم يفرحوا من قبل بهذا اليوم يوم الاستقلال الذي اعتبروه عيدا للعروبة»[23]، والشعراء السعوديون هم أيضا أبدعوا في وصف فرحم ونشوتهم، وهذا الشاعر (علي الشهراني) يشارك الجزائريين فرحهم واحتفالهم، فيصدح في قصيدته " فرحة استقلال الجزائر":

غردي يا طير في الأغصان ألحان البشائر.
فرحة النصر ليمضي في طريق النصر كاسر.
غردي يا طير وامضي فاشهدي أرض المفاخر.
روضة حررها أبطالها الغر القساور.
اشهديها فهي للأبطال نور وبشائر.[24]

إلى أن يقول وفي مقطع آخر:

وأطل الفجر وضَاءَ على الشعب المظفر.
في صعيد . النصر . أفواجا جموعا لا تقدر.
أثمرت سبعة أعوام به نصرا مؤزر.
سجدوا لله رباً خلقَ الكون فقدَّر.
مدّهم عوناً وأردى الغاشم ودمّر.[25]

لقد تفاعل الشعراء السعوديون مع استقلال الجزائر والذين كانوا ينظرون إليه على أنه بمثابة أول لبنة في صرح الوحدة العربية، بل كانوا يرون في يوم انتصار الجزائر أشبه بانتصار صلاح الدين الأيوبي وعرب ذي قار، إذ كان «استقلال الجزائر أقرب طريق للوحدة العربية، إن هذا اليوم يشبه يوم حطين حيث هزم صلاح الدين الصليبيين وطهَّر منهم المشرق العربي، ويوم ذي قار قبل

الإسلام الذي انتصر فيه عرب بني شيبان على الفرس، إن معنى هذا اليوم أن أرض العرب صارت للعرب ومجد العرب عاد له رونقه وبهاؤه»[26].

3. خاتمة:

هذا هو الشعر السعودي الذي واكب الثورة الجزائرية، وهذه هي الثورة التي شغلت الشعراء السعوديين، وكلاهما يدين للآخر بالجميل «فالثورة بدون لسان من الشعر يعبر عنها ويشرح مبادئها ويواكب تطوراتها ثورة بكماء»[27].وإذا كان الشعر السعودي قد قدم الكثير للثورة التحريرية،فثورة الجزائر أيضا ألهمت الشعراء وفتحت لهم عوالم الإبداع، ما كان لهم أن يلجوها لولا الثورة الخالدة.

هكذا ساير الخطاب الشعري السعودي الثورة العظيمة بيومياتها الصريحة المؤلمة، و بطولاتها الخالدة واستلهم منها ومن وقائعها وأحداثها، وهلل وهتف لها، حتى غدت الشعر السعودي سجلا من المواقف الثورية «فحسبه فخرا أن يستمد من الثورة عفويتها ويكون لها (شاشة تلفزيون) صادقة»[28]

نستطيع أن نقول ومن خلال دراستنا للنصوص الشعرية التي نظمها الشعراء السعوديون وتحليلنا لها، أن الشاعر السعودي كان شاعرا متميزا في شعره، متفردا في خطابه، صادقا فيما تجود به قريحته، ولا غروَ في ذلك فهي التي ألهمته آيات الفن الرفيع، فكانت قصائده نابعة من رحم الثورة، مفعمة بروح الكفاح والصمود، يشحذ بها النفوس ويسعى من خلالها لاستنهاض الهمم والحض على الثورة، ويسجل آيات الكفاح الجزائري، و مما سبق فإن مما عرضناه عن الثورة الجزائرية في الشعر السعودي وبعد دراسة النصوص الشعرية فإننا خلصنا إلى ما يلي:

أ. لم تثبتْ القصائد التي تحدثت عن الثورة الجزائرية على مضمون واحد، بل تنوعت مضامينها واختلفت، وتعددت بحسب موضوعاتها، فالشعراء السعوديون في دعمهم للثورة ونصرتها عالجوا جوانب كثيرة متصلة بها كموضوع النضال والتضحية، والنصر والاستقلال، ووصف المعارك والاستعمار، وتحدثوا أيضا عن مكانة الثورة، ونضال المرأة الجزائرية، والأوراس الأشم.

ب.أسهم الشعر السعودي في إنجاح الثورة التحريرية من خلال إسماع صوتها ودويها في المحافل الدولية من جانب، وتشجيع الجزائريين على الاستمرار في النضال ضد الاستعمار من جانب آخر.

ت.لقد كانت القصائد السعودية التي تفاعل بها الشعراء مع ثورة الجزائر، صورة من صور الوعي العربي التحرري، الرافض لكل شكل من أشكال الاستعمار.

ث.أسهم الشعر السعودي في إذكاء روح الحماسة في قلوب الجزائريين، وحثهم على تبني المسار النضالي التحرري حتى تتحقق أهداف الثورة النوفمبرية الخالدة.

ج. كانت القصيدة السعودية متتبعة لأحداث الثورة التحريرية، مسجلة كل صغيرة وكبيرة، ناقلة الوضع المأساوي الذي عاشه الشعب الجزائري في حقبة الاستعمار.

ح. عاش الشاعر السعودي الثورة التحريرية عقلا وقلبا، وفعلا، حيث بشَّر بالثورة، وواكبها، وتفاعل معها وتجاوب وتقاسم مع الجزائريين فرحة النصر، ونشوة الاستقلال.

4. الهوامش:

[i] - غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، مصر، 1970م، (ط1)، ص 317.

[ii] - رماني إبراهيم، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1985م، (ط1)، ص 32 .

[iii] - فادية الحلواني المليح، تجليات ثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد 08، 2005 م، ص 114.

[4] - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، (ط 1)،2011 م، ص 7.

[5] - المرجع نفسه، ص 33.

[6] - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 26.

[7] - المرجع نفسه ، ص 38-39.

[8] - المرجع نفسه، ص 39-40.

[9] - نور الدين السد، القضية الجزائرية عند الشعراء العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م، ص 23.

[10] - صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، 1984م، ص 230.

[11] - المرجع نفسه، ص 230.

[12] - أحمد الشرباصي، سلاح الشعر، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، (دط)، (د ت)، ص 124.

[13] - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 52.

[14] - المرجع نفسه ، ص 59.

[15] - المرجع نفسه ، ص 128.

[16] - المرجع نفسه، ص 8.

[17] - المرجع نفسه، ص 8.

[18] - عبد الله ركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 13.

[19] - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 73.

[20] - المرجع نفسه، ص 74.

[21] - المرجع نفسه، ص 103.

[22] - المرجع نفسه ، ص 78- 79.

[23] - عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (ج1)، (ط2)، 2014م، ص 203.

[24] - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات) ، ص 135.

[25] - المرجع نفسه، ص 137.

[26] - عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج1)، (ط2)، ص 204..

[27] - يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية،دار كتاب البحث للطبع والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، (ط1)، 1987م، ص 433.

[28] - صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 228.